كيف تصبح عظيما؟

كل منا يستطيع ان يكون عظيما لان كلا منا يستطيع ان يقدم خدمة للاخرين...

(مارتن لوثر كينغ)

...

كان يسير في الطريق عندما لاحظ ان الشاب الذي كان يسير امامه قد وقع فجاة على الارض، وتبعثرت في كل مكان الكتب ومجموعة الملابس ومضرب التنس ومجموعة اخرى من الاغراض التي كان يحملها. اقترب منه واخذ يساعده في لملمة اشيائه المبعثرة على الارض وهو يبتسم له مشجعا. وحيث انهما كانا يسيران في الاتجاه نفسه فقد عرض صاحبنا على الشاب ان يساعده في حمل بعض من امتعته. وقبل ذلك وهو شبه مبهور لما يحدث له وكانه لم يكن يتوقع كل تلك المعاملة الطيبة من شخص غريب عنه.

في الطريق تعرفا على بعضهما البعض وعلى هواياتهما المشتركة، وعرف صاحبنا من صديقه الجديد انه يمر بظروف عائلية صعبة وانه قد اختلف مع الفتاة التي يحبها ويواجه مشاكل دراسية ايضا.

وصلا الى بيت الشاب فعرض عليه الدخول لتناول شيء ما. ولم يتردد صاحبنا في القبول، فقد كان يشعر بعطش شديد. امتد ذلك اللقاء الى ساعات المساء الاولى. وتخللته ضحكات وقصص عن الجامعة والمستقبل وكل ما يهم الشباب التحدث عنه. ترك صاحبنا بيت صديقه، وذهب في حال سبيله.

التقى بصديقه اكثر من مرة بعدها وتناولا بعض الوجبات معا في مطاعم الجامعة، واستمرا وعلى مدى سنوات الدراسة في الالتقاء بين فترة واخرى الى ان اقترب يوم التخرج، وكانت المفاجاة عندما قال صديق صاحبنا له بانه يود ان يخبره بامر طالما اخفاه عنه. ذكره بذلك اليوم الذي التقيا فيه عندما سقطت اغراضه على الارض، وكيف انه كان يحملها بعد ان قام بأخذ كافة ما يخصه من خزانة اغراضه في الكلية لانه اراد ان يتركها نظيفة لمن سياتي من بعده، وكيف انه كان في طريقه الى البيت ليقوم بانهاء حياته في ذلك اليوم بتناول كمية من الحبوب المنومة، بعد ان يئس من مواجهة كم المشاكل التي كان يشكو منها، وكيف ان ما رآه من لطف منه عندما قام بمساعدته بلملمة اغراضه وحملها معه، وما تبع ذلك من قبول دعوته لدخول بيته ومشاركته للحديث والضحك، وكيف كان لكل تلك الاحداث البسيطة التي حدثت له في ذلك اليوم من تاثير كبير على قراره بالتخلي عن فكرة الانتحار. وكيف عدل عن ذلك بعد ان استمتع كثيرا بحديثه وصحبته في ذلك اليوم، ولولا تلك المبادرة البسيطة، التي قام بها عندما ساعده في ذلك اليوم في جمع اغراضه التي تبعثرت على الارض، لكان الآن في عداد الاموات.

أحمد الصراف